

ولقد خاض داود عليه السلام، هذه التجربة الحية، فتفاعل مع أحداثها ووقائعها بكل تفاصيلها، وتأثر بمواقفها الحركية ومشاهدها التي أبرزت قضية الإنسان مع أخيه الذي سمح لنفسه أن تسلك طريقة المغالبة والمحااجة استناداً إلى سلطانه وسطوته مدفوعاً بنهمه الذي لا حد له.

ويقف داود عليه السلام، محللاً نفسية الخلطاء ولم يستثن منهم سوى القلة القليلة، مبيناً أن الإيمان قد وقاها من عقدة حب الاستيلاء والسيطرة، لأن إيمانها لم يكن متقوقعاً سلبياً، ولكنه إيمان إيجابي قد تحول إلى اتجاهات وعادات صالحة وسلوكيات حميدة، وقدرات تفجر طاقات الإنسان في مجال الخير والعدل والإبداع، وتفتح أمامه سبل النجاح التي تحفزه إلى السير الحثيث لبلوغ أسمى الغايات.

ولقد أثبت «علم التربية» «أن الإنسان إنما يجد في عمله عندما يشعر بنجاحه فيه» ويمضي داود عليه السلام، في مراجعة أحداث الدرس بوعي عميق وإنابة خاشعة، حيث يحظى بالمنزلة الرفيعة التي تؤهله لأن يكون خليفة في الأرض ينهض بعبء مسؤولية القيادة الرشيدة التي لا ترى الأمور إلا بميزان الحق والعدل، ولا تصدر الحكم إلا وهي تستشعر عظمة خالقها، ولا تسير إلا وفق التحذيرات التي وجهت؛ لترسخ أسس المنهج الذي اختص بواقعيته، فهو لا يقدم مبادئ نظرية ولا توجيهات مجردة، ولكنه يطبق ويمارس ويدرب ويتناول موضوع الدرس بالتحليل الدقيق العميق لكل الأسباب والنتائج، ثم ينتقل إلى التعقيب؛ ليكشف الأثر النفسي حيث يعرضه في وضوح تام ليطمئن على أن الحقيقة قد تمكنت من نفس المتعلم واستقرت في جو من الرضا والقبول.

ويقف داود عليه السلام، مرة أخرى، فيجد نفسه أمام قضية لا تختلف في سماتها العامة عن القضية الأولى إلا في بعض ملامحها وظروفها من حيث العرض وتنوع الأسباب:

نعاج في الأولى... وغنم في الثانية.